



في جولة جنيف (التفاوضية السورية) الثامنة التي زاد امتدادها على العشرين يوماً، حضر رئيس وفد النظام منها بضع ساعات، أمضها صمتاً ثم نطق كفراً بالمبعوث الأممي، ستيفان دي ميستورا، وبمن أرسله وبمن أتى له "مفاوضاتهم"، والأكثر بأهل سوريا الذين طالما تحدث باسمهم زوراً وبهتانا. كان نطقه نسخةً وترجمة لسبع سنين من الانفصال عن الواقع وتزييفه. وكما البلطجة والإجرام بحق سوريا وشعبها طوال تلك السنين، كانت سرديته كذلك، لا بشهادتنا، بل بشهادة معظم من سمعه. ما ميّز أداءه في أثناء هذه الجولة هو ارتفاع منسوب التوتر والصفاقفة وال Ferguson والتحدي، حتى للأمم المتحدة ومبعوثها؛ وكأنه كان على علم بالتصريحات الواقعة البلطجية لزميله الروسي في الأمم المتحدة، وشروطه الخمسة "للحل السياسي" في منتجع سوتشي.

كان في وسع بشار الجعفري توسيع طيف الحديث "الوطني" الذي طالما سطا عليه واستخدمه "متحدثاً باسم سوريا"؛ وأن يضيق من /الشخصنة/ التي ادعى، في مرافعته، أنه لا يستخدمها؛ إلا أنه أثبت حرفيته ومهنيته ردحاً شتاماً كذوباً. فحتى اللحظة، وعلى الرغم من ثمانى جولات في جنيف للبحث في حل سلمي لسوريا، ما زال الجعفري يتمترس عند تسمية من يقول "لا لمنظومة الاستبداد" التي يمثلها بـ"المجموعات الإرهابية المسلحة"؛ وإن أراد أن يكون ناعماً ودبلوماسياً يدعوهم "علماء مأجورين ومشفّفين من الخارج". حقيقة لا يأس بذلك؛ فإن كان سيده على هذه الدرجة من الانفصال عن الواقع، فلا عتب إن نطق زوراً كلما تنفس.

لا حاجة للتذكير بأنه مع كل استحقاق سياسي، ومع كل جولة مفاوضات، يوقت "النظام" الذي يمثله الجعفري بفعل إرهابي، لكي يبعد اهتمام العالم عن الاستحقاق ذاته. ولكن الجعفري، في جولة جنيف هذه بالذات، أليس ذلك الفعل للمعارضة ذاتها بأنها هي التي توقّت الاستحقاق بفعل إرهابي، مستعيراً خطابها الصادق، كي يلبسها فعل نظامه. لم يكتثر الجعفري لتوثيقات الأمم المتحدة التي تسجّل رسمياً كل وثيقة تقدّم إليها، فتحداها بكل فجور، قائلاً إنه سلمها ثلاثة

وعشرين وثيقة. ذلك ممكן، إن كان الجعفري يعتبر تلك الورقة المأخوذة من "كتاب القومية" للمرحلة الإعدادية وثيقة؛ وإن كان يعتبر الاثنين وعشرين تأنيباً وتوبخاً للمبعوث الأممي وثائق للعملية السلمية.

عندما يقول بشار الجعفري إنه "لا يريد لمسار جنيف أن يفشل"، فإنه محق؛ لأنه لا يريد أن يفشل، بل أن يُلغى من الوجود، كما تمنى أو أراد معلم، وليد المعلم، أن يلغى أوروبا من الخريطة العالمية. ومعلوم أن نظام الجعفري ما ترك حجةً أو ذريعةً كي لا يأتي إلى جنيف؛ فمنبر "نيويورك" بيته أفضل لتسويق سردية الادعاء والتزييف بوجود المندوب الروسي صاحب الشروط الخمسة والأحد عشر فيتو. هناك، يمكنه، بكل بطلجية، أن "يحدد ولاية المبعوث الدولي"، كما جاء في تصريحاته في جنيف. هناك ربما، وبوجود البلطجية الروسية، يمكن أن يكون شريكاً لروسيا بعضاوتها الدائمة في مجلس الأمن.

عندما يقول الجعفري إنه "لا عواطف ولا مشاعر في السياسة"، كان يحاضر على العالم، كما حاضر على المبعوث دي ميستورا في الجغرافيا السورية في قاعة المفاوضات؛ وسجلها أحد مرافقيه بكل صفافة وواقحة وتحدي للأمم المتحدة. حقيقة كان على الجعفري، لو كان للصدق مكان في حياته، أن يضيف، إلى "لأهاته"، "لا مشاعر ولا عواطف"، لا صدق، لا أدب، لا احترام، لا إنسانية...؛ وبذا يعكس تماماً صورة "النظام" الذي يمثل وسلوكيه ومنهجيته. ومن غير المستغرب أن يبوح الجعفري بذلك يوماً؛ ولكن الأمل يبقى ضعيفاً جداً.

أخيراً، وليس آخرأً. منذ البداية، أراد الجعفري، ومن يمثل، أن يفصل لهم العالم معارضةً كما يرغبون وكما يشتهون. وآخر طلب لهم كان أن يفاوضوا وفد معارضة واحداً. فكان لهم ما أرادوا. لكن حجتهم الآن أن البيان الذي أخرجه وتبنته المعارضة الواحدة يجب أن يُسحب؛ ويجب ألا يكون فيه ذكرُ لسيده. واضح أن الجعفري، ومن خلفه زميله الروسي في نيويورك، لا يريدان سحب البيان، بل سحب واستئصال كل من يقول لا للأسد ومنظومته الإجرامية. ولكن هذين الشخصين لا يعلمان أنه لو سُحبَت رقابهما ورقية الذي يدافعان عنه؛ لن يُسحب ذلك البيان؛ لأنه منسجمٌ مع القرارات الدولية، ومع إرادة شعب سوريا. يكفي المندوب الروسي أن يتذكّر أن بلده قالت إن السوريين يقرّرون مصير بلد़هم، والآن يشترط عدم بحث مصير بشار الأسد.

ما أرادت منظومة الاستبداد التي يمثلها الجعفري، ولا آمنت، يوماً بحل سلمي للقضية السورية؛ ولا تزال تتمترس مع إيران وميليشياتها عند شعار "أحکمها أو أدمّرها"، حتى لو استلزم ذلك استدعاء احتلالٍ أجنبيٍّ لسوريا، وبيعها بالرخيص في مقابل كرسي الدم. وهذا ما بات يعرفه السوريون والعالم.

ما حدث في "جنيف 8" كان فضحاً وكشفاً، لا للمنظومة التي يمثلها الجعفري فقط، بل لروسيا المحتلة لسوريا؛ وهو برسم الشعب السوري الذي لا يعبأ به، أو له، نظام فاشي قتل شعباً وشردّه ودمر بلداً عندما طلب جرعةً من الحرية. ما حدث في جنيف برسم روسيا التي انكشفت تماماً منظومة دكتاتورية محتلة. إنه برسم الأمم المتحدة التي يمرّغها الجعفري بالتراب. عملياً، لا ندري كيف تسمع هذه الأمم المتحدة بدخول مخلوقٍ كهذا إلى مبناهما؛ وهو لا يزال يرافق عن قتل نصف مليون سوري ودمار نصف بلد وبيعه للاحتلال!

المصادر:

العربي الجديد